نماذج وعبر من حياة الصحابة رضي الله عنهم وتفانيهم في خدمة الدين

من إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الدعوة والإرشاد الديني

قسم الإرشاد الديني

www.islam.gov.qa

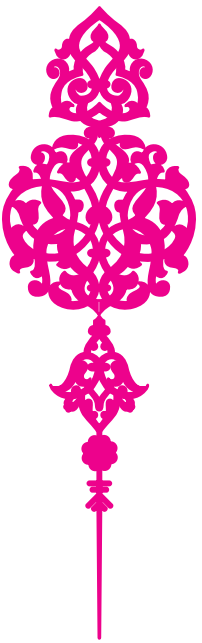

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate Of Endowments

تعريف بـ..
الإدارة العامة للأوقاف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مما لا شك فيه أن **نظام الوقف في الإسلام** قد أدى دوراً بارزاً في إقامة مجتمع إسلامي حضاري يُحتذى به، تجلت فيه روح الأخوة الإسلامية التي تأسست على المبدأ النبوي المبارك : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً » رواه مسلم.

وقد ساهمت **«الأوقاف»** في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي على تثبيت الدين في نفوس المسلمين، وحماية الدعوة الإسلامية، وضمان استمرار مسيرتها في البذل والعطاء.

وجاءت النصوص الشرعية لتؤكد على دور الوقف وأهميته في حياة الأمة منها: قوله تعالى :﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وتعد الإدارة العامة للأوقاف في الواقع الفعلي من أقدم المؤسسات المدنية في دولة قطر بالنظر إلى الحجج الوقفية المسجلة منذ العقود الأولى من القرن الماضي حيث ارتبطت بالقضاء الشرعي لأسباب تتعلق بالإنشاء والمنازعة والإدارة.

أهداف الإدارة العامة للأوقاف:

- إدارة شؤون الأوقاف والإشراف عليها وتنظيمها .
- استثمار أموال الأوقاف وتطويرها وتنمية إيراداتها على أسس اقتصادية.
- الإشراف على الأموال الموصى أو المتبرع بها لمصرف من مصارف البر.
- العمل على تشجيع وقف الأموال على جهات البر وتوسيع نطاق الأوقاف الخيرية.
- إقامة المساجد والترخيص بها حسب احتياجات المناطق المختلفة، والعمل على صيانتها وتأثيثها، والمحافظة عليها ورعاية جميع شؤونها.

اختصاصات المصارف الوقفية :

-إحياء سنة الوقف من خلال تبني مشاريع تنموية للوفاء باحتياجات المجتمع.
- التعريف بالوقف و مشروعاته وتشجيع أهل الخير على وقف أموالهم في أوجه البر المختلفة.
- اقتراح أوجه صرف الأموال الوقفية وتطبيق شروط الواقفين .
- استقبال طلبات المساعدة من الجهات والأفراد وإجراء الدراسات اللازمة لبحثها والبت فيها.
- التعرف على رغبات المتبرعين واحتياجاتهم من المشاريع الوقفية وتوجيههم وإرشادهم إلى المجالات الأولى والأكثر إلحاحا للوقف عليها.
- إدارة البيوت الوقفية الخيرية المجانية .
- تعميق التواصل مع الواقفين وتوثيق العلاقة مع المستفيدين من مشاريع الأوقاف.
- ترويج و تسويق مشاريع الأوقاف من خلال الاستعانة بكافة الوسائل الإعلامية المتاحة.

وأما المصارف الستة فهي:

١- المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٢- المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٣- المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.

٤- المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية.

٥- المصرف الوقفي للرعاية الصحية.

٦- المصرف الوقفي للبر والتقوى.

وقد هيأ الله لإحياء هذه السنة المباركة رجالاً على **رأس الإدارة العامة للأوقاف**، وذلك بمبادرة ودعم أهل الخير من أبناء هذا البلد الطيب، وأثمرت هذه الجهود المباركة عن تأسيس: «**المصارف الوقفية**» التي ساهمت بجهود طيبة ولا زالت - في دعم الأنشطة والمشروعات الدعوية المتنوعة بالإضافة إلى أوجه البر الأُخرى.

ومن هذه الأنشطة التي دعمتها المصارف الوقفية «**كتيبات قسم الإرشاد الديني**» لذلك يطيب لنا أن نتوجه بخالص شكرنا وتقديرنا للإخوة القائمين على «**المصارف الوقفية - بالإدارة العامة للأوقاف**»، كما يطيب لنا أن نتوجه بالدعوة إلى أهل الخير والعطاء والبذل في سبيل الله سبحانه وتعالى في هذا البلد الطيب المعطاء - أن يبادروا - إلى دعم مشروعات «**المصرف الوقفي للبر والتقوى**» وغيره من المصارف الوقفية الأخرى التي يُشرف عليها ويُديرها **قسم المصارف الوقفية - الإدارة العامة للأوقاف** بدولة قطر.

وفقكم الله وبارك على طريق الخير خطاكم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الإصدار

لقد اختار الله لنبيه ﷺ أصحابًا كانوا حملة الهدى ، وأعلام الجهاد ، أوذوا فصبروا ، وبذلوا أموالهم وأرواحهم فاحتسبوا ، جعلهم الله أئمة الهدى ، ومنارات خير ورشاد ، وفي هذا الإصدار نماذج من جهدهم وجهادهم .

ولا يفوتنا في هذه العجالة أن نشكر كل من ساهم في هذه الإصدارات كتابة ومراجعة وتصحيحًا ونشرًا ، سائلين الله تعالى أن يجعله في ميزان حسنات الجميع .

كما نتوجه بالشكر إلى كافة المسئولين بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية على دعمهم الدائم للعمل الدعوي بكل نشاطاته .

والله نسأل أن يوفق الجميع لمرضاته ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وله الحمد في البدء والختام .

مُقَدِّمَة

إنّ حياة الأمم لاتقوم على طول عمرها أو قصر ذلك ، وإنما تقوم على بذل أبنائها في سبيل بنائها رجالا ونساء ، وإن أمة محمد ﷺ التي اختارها الله أن تكون آخر الأمم وأفضلها ، اختار لنبيها ﷺ أصحابا كانوا رهبانَ الليل وفرسانَ النَّهار .

قال ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : "إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ"[1] .

ومن أحبَّهُم رضي الله عنهم فلحُبِّ الله ورسوله ﷺ أحبّهم ، ومن أبغضهم فقد سخط ماارتضاه الله عز وجل لنبيه ﷺ ، فقد قال الحبيب ﷺ : « اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ »[2] .

ولايرضى – جلّ في علاه– لنبيِّه صحبة ساقط ومنافق وساخط عليه ، وفي تنقُّص الزنادقة لأصحاب رسول الله ﷺ تعقب على اختيار الله ، وتنقُّص لجناب الحبيب ﷺ، نعوذ بالله من الخذلان .

---

١ – رواه أحمد بسند حسن (٣٦٠٠)

٢ – أخرجه الترمذي (٣٨٦٢).

قال الإمام أحمد رحمه الله في عقيدته : (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال) [١] ، أي فأقل الصحابة معاشرة للنبي ﷺ هو أفضل ممن جاء بعدهم ولو كان المتّأخرون جاءوا بجميع الأعمال .

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: " إذا رأيت الرّجلَ ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه زنديقٌ؛ وذلك أنَّ رسول الله ﷺ عندنا حقٌّ والقرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ وإنَّما يريدون أن يجرحوا شهودَنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرحُ بهم أولى وهم زنادقةٌ "[٢].

وقال النووي : (وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ، ولا تنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[٣] .

---

١ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة : اللالكائي ١ / ١٦٠ .

٢ - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص٤٩). الزنديق : المنافق الذي يظهر خلاف مايبطن .

٣ - مسلم بشرح النووي ١٦ / ٩٣ .

فضل الصَّحابة الأخيار

وقبل أن نتكلّم في فضائل الصحابة الأخيار ، لابدّ لنا أن نعرف الصحابي لنترقى لمعرفة فضله ، فقد عرّف علماء الحديث الصحابي : بأنّه كل من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك فهو صحابي جليل .

والصحابة الذين اجتمعوا بالنبي ﷺ قد أوصلهم العلماء في عدهم إلى مائة وعشرين الفا أويزيدون ، فمنهم المقل في صحبته، ومنهم المكثر، ومنهم المكثر في بذله وعطائه وجهاده ، ومنهم المقتصد ، قال الحافظ ابن حجر : لاخفاء في رجحان رتبة من لازمه ﷺ ، وقاتل معه ،أو قتل تحت رايته على من لم يلازمه أو لم يحضر معه مشهدا، وعلى من كلّمه يسيرا ، أو مَاشَاهُ قليلا ، أورآه على بعد ، أو في حال الطفولة، وإن كان شرف الصّحبة حاصلا للجميع ، ومن ليس له منهم سماع منه فحديثه مرسل من حيث الرواية، وهم مع ذلك معدودون في الصحابة لما نالوه من شرف الرؤية أهـ .[١]

ومدٌّ[٢] من طعامٍ تصدق به أحدهم خير من جبل ذهب من غيرهم فقد قال عنهم ﷺ : «لا تسبّوا أصحابي، فو الّذي نفسي بيده، لو أنّ أحدكم أنفق مثل (أُحُدٍ) ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» ، متّفق عليه [٣].

وكلهم على خير في هديهم وسمتهم واتباعهم لحبيبهم ، وهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ على الإطلاق وأعلاهم كعبا في الفضل والسبق العشرة المبشرون

---

١ - شرح النزهة (١١٥- ١١٦) وعنه الأثيوبي في إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر ،في علم الأثر (٢/ ١٨٤-١٨٦) .ط/مكتبة ابن تيمية القاهرة ،الأولى سنة (١٤١٦- ١٩٩٦) . وانظر فتح الباري للحافظ (٣/٧) .فضائل الصحابة دار المعرفة.

٢ - المدّ : هو الحفنة من الطعام ملء اليدين لامقبوضتين ولامبسوطتين .

٣ - أخرجه البخاريّ، برقم (٣٤٧٠) . ومسلم برقم (٢٥٤٠/ ٢٢١) . عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بالجنة وأعلى المبشرين أبو بكر الصديق ﷺ ، السابق للإسلام ، والحامي له بعد موت نبينا ﷺ، روى البخاريّ ومسلم في «صحيحيهما» ، أنّه ﷺ قال: «خيركم [١]- وفي رواية- خير النّاس قرني، ثمّ الّذين يلونهم - أي: التّابعون- ثمّ الّذين يلونهم- أي: تابعو التّابعين-» [٢].

قال العلماء [٣]: وإنّما كانوا خير القرون بشهادة الله تعالى ورسوله ﷺ لهم بكلّ فضيلة؛ من الإخلاص والصّدق والتّقوى، والشّدّة في الدّين، والرّحمة على المؤمنين، ونصرة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وبذل النّفوس والأموال وبيعها من الله تعالى، وإيثارهم على أنفسهم، وكونهم خير أمّة أخرجت للنّاس، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، والحائزين على الفوز والفلاح والبشارة بأعلى الجنان وجوار الرّحمن، إلى غير ذلك.

مدح الله لا يتبدّل، ووعده لا يخلف ولا يتحوّل، إذ هو سبحانه المطّلع على عواقب الأمور، والعالم بخائنة الأعين وما تخفي الصّدور، فلا يمدح جلّ وعلا إلّا من سبقت له منه الحسنى، وكان ممدوحا في الآخرة والأولى.

---

١ - قال النّوويّ- رحمه الله تعالى-: (ورواية «خير النّاس» على عمومها، والمراد منه جملة القرون السّابقة واللّاحقة، ولا يلزم منه تفضيل أهل قرنه على الأنبياء عليهم السّلام، إذ المراد جملة القرون، بالنّسبة إلى كلّ قرن بجملته.
قال: والمراد بالقرن: الصّحابة، ثمّ الّذين يلونهم: التّابعون، ثمّ الّذين يلونهم: تابعو التّابعين) . انتهى. شرح صحيح مسلم، للنّوويّ، ج ١٦/ ٦٩. بتصرّف .

٢ - أخرجه البخاريّ، برقم (٢٥٠٩) . ومسلم برقم (٢٥٣٣/ ٢١١) . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. القرن: أهل كلّ زمان، وهو مقدار التّوسّط في أعمار أهل كلّ زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنّه المقدار الّذي يقترن فيه أهل ذلك الزّمان في أعمارهم وأحوالهم. وقيل: القرن: أربعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل: مئة، وقيل: هو مطلق من الزّمان (النّهاية في غريب الحديث، ج ٤/ ٥١. (أنصاريّ)) .

٣ - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار للعلامة : محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق» (المتوفى: ٩٣٠هـ) /الناشر: دار المنهاج – جدة // تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول /الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التّوبة: ١٠٠] .

وقال سبحانه: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التّوبة: ٨٨- ٨٩] .

لقد ضرب الصّحابة بسهامهم في كلّ واد من أودية الخير ، وسعوا في كلّ عمل يثبت ساق الدين ويعلي فروعه ، فقد كانوا أئمة الدنيا وسادتها ، ماحلوا في بلد إلا وكانوا غيث الثرى، وليوث الشرى[١] ، أينعت بقدومهم أشجار البرِّ واتسقت ، واندحرت رايات الكفر وانكسرت .

وفي هذه الورقات المباركات سنسوق نماذج تدل على إخلاصهم لهذا الدين ، وصدقهم في تبليغه ، وتفانيهم في خدمته ، ومضائهم في سبيل نشره بالمهج والمال والولد، فكانوا بفضل الله في الدّنيا قادة، وفي الآخرة سادة ، لايبلغ أحد منزلتهم مهما عمل ، ولايساوي غبارا ارتفع من نعالهم مهما فعل ، فرضي الله عنهم ماهطل الغمام، وماناح على الأيك الحمام[٢] ، ومابلغ في الأفق الهلال السرى والتمام .

---

١ - الليوث الأسود ، والشرى : التّلاع والأودية جنب الفرات وفيها اشجار كثيفة كانت تسكنها الأسود .

٢ - الأيك : جمع أيكة وهي الشجرة العظيمة .

نماذج من الصحابة ﷺ في مسارعتهم للإسلام

١- أمّنا الطاهرة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

كانت السيدة خديجة -رضي الله عنها- امرأة ذات مال وتجارة رابحة، فكانت تستأجر الرجال لتجارتها وتبعثهم بها إلى الشام، ومرت الأيام ووصل إلى مسامعها ذكر «محمد بن عبد الله» كريم الأخلاق، الصادق الأمين، وكان قلّ أن تسمع في الجاهلية بمثل هذه الصفات، فأرسلت إليه وعرضت عليه الخروج في مالها تاجرًا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، وقبل الشاب وخرج لها بتجارتها وعاد بالأرباح ، ولما رجع - وقد كان معه غلام لخديجة فأخبرها عن كرم أخلاقه ﷺ وصفاته المتميزة التي وجدها فيه أثناء الرحلة- رغبت في الزواج منه، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، والسيدة خديجة يومئذ بنت أربعين سنة.

وكان قد قُدِّر لخديجة -رضي الله عنها- أن تتزوج مرتين قبل أن تتشرّف بزواجها من رسول الله ﷺ ، وقد مات عنها زوجاها، وتزوجها رسول الله ﷺ قبل الوحي، وعاشت معه خمسًا وعشرين سنة؛ فقد بدأ معها في الخامسة والعشرين من عمره، وكانت هي في الأربعين، وظلا معًا إلى أن توفاها الله وهي في الخامسة والستين، وكان عمره ﷺ في الخمسين، ولم يتزوج عليها طوال حياتها، ورزقه الله منها الذرية الطيبة ، وما إن جاء الوحي لرسول الله ﷺ حتى كانت السيدة خديجة -رضي الله عنها- قد ألقى الله في قلبها صفاء الروح، ونور الإيمان، والاستعداد لتقبُّل الحق، فحين نزل على رسول الله ﷺ في غار حراء ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١]،

رجع ترجف بوادِرُه[١] وضلوعه، حتى دخل على السيدة خديجة فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع[٢].

وهنا قال لخديجة رضي الله عنها: «أَيْ خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي». وأخبرها الخبر، فردت عليه السيدة خديجة -رضي الله عنها- بما يطيّب من خاطره، ويهدئ من روعه فقالت: «كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

ومن ثَمّ كانت السيدة خديجة -رضي الله عنها- أول من آمن بالله ورسوله وصدَّق بما جاء به، فخفّف الله بذلك عن رسول الله ﷺ؛ لا يسمع شيئًا يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرَّج الله عنه بها، وإذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس.

ونرى منها بعد زواجها كمال الحكمة وكمال رجاحة العقل، فها هي تستقبل أمر الوحي الأول بعقلانية قلّ أن نجدها في مثل هذه الأحوال بالذات؛ فقد رفضت أن تفسّر الأمر بخزعبلات أو أوهام، بل استنتجت بعقليتها الفذة وحكمتها التي ناطحت السحاب يوم ذاك أن الله لن يخزيه، ثم أخذته إلى ورقة بن نوفل ليدركا الأمر. وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها.. نعم النّصير بعد الله تعالى لرسول الله ﷺ.

وهذه السِّمة من أهمّ السمات التي تُميّز شخص السيدة خديجة رضي الله عنها، تلك المرأة التي وهبت نفسها ومالها وكلّ ما ملكت لله ولرسوله ﷺ، ويكفي في ذلك أنها آمنت بالرسول ﷺ وآزرته ونصرته في أحلك اللحظات التي قلما تجد فيها نصيرًا أو مؤازرًا أو معينًا.

---

١ - بوادره: جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان.

٢ - الروع: الخوف.

ثم هي -رضي الله عنها- تنتقل مع رسول الله ﷺ من حياة الراحة والاستقرار إلى حياة الدعوة والكفاح والجهاد والحصار، فلم يزدها ذلك إلا حبًّا لمحمد وحبًّا لدينه ﷺ ، وتحديًا وإصرارًا على الوقوف بجانبه، والتفاني في تحقيق أهدافه.

فلما أُخرج رسول الله ﷺ مع بني هاشم وبني عبد المطلب إلى شعاب مكة في عام المقاطعة، لم تتردد -رضي الله عنها- في الخروج مع رسول الله ﷺ لتشاركه -على كبر سنها- أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها، فقد نَأَتْ بأثقال الشيخوخة بهمة عالية، وكأنها عاد إليها صباها، وأقامت في الشعاب ثلاث سنين وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى.

وكأن الله اختصها بشخصها لتكون سندًا وعونًا للرسول ﷺ في إبلاغ رسالة رب العالمين الخاتمة، فكما اجتبى الله عز وجل رسوله محمد ﷺ واصطفاه من بين الخلق كافة، كذلك قدّر له في مشوار حياته الأول لتأدية الرسالة العالمية مَن تضارعه أو تشابهه لتكون شريكًا له في حمل هذه الدعوة في مهدها الأول، فآنسته وآزرته وواسته بنفسها ومالها في وقت كان الرسول ﷺ في أشد الاحتياج لتلك المواساة والمؤازرة والنصرة.

فوائد وعبر من إسلامها رضي الله عنها :

١- رجاحة عقلها وزكاء خلقها يدل على ذلك اختيارها النبي ﷺ ليكون زوجا لها .

٢- سرعة إسلامها وإقبالها على الدين لما ظهر لها من الصادق الأمين صدقه وكرم أخلاقه وجميل صفاته .

٣- مؤازرتها للنّبيّ ﷺ بنفسها ومالها، وتحملها أذى قومها في سبيل الله تعالى ونصرة لحبيبها ﷺ .

٤- استشفافها نبوة محمد ﷺ من خلال مالمسته من أخلاقه العالية .

٥- وفاء النبي ﷺ لها بعدم زواجه عليها في حياتها ، ووفاؤه لها بعد موتها في قصص كثيرة تدل على شدة الحب لها .

٦- إكرام الله لنبيه ﷺ بالذرية الطيبة المباركة منها.

٧- لقد نالت رتبة الشرف العظمى في الدنيا، بكمال عقلها ودينها ، وهي إحدى السيدات العظيمات في الجنة .

٢- أبو بكر الصديق ﷺ :

إنّه أوّل من بكَّر بالإسلام ، وآمن من الرّجال بخير الأنام وصدّق النبي ﷺ دون تردد ولاتلعثم ، إنه عبدالله بن عثمان الملقب بالصّدّيق ﷺ ، المنعوت لقبا في الجاهلية بالعتيق ، فقد كان أول من أسلم ، وأوذي في الله مع نبيه ﷺ ، ولم يبخل بماله في سبيل الله حيث أعتق الكثير من المستضعفين الذين كانوا يعذبون في ذات الله تعالى ، ولقد شهد له الصادق المصدوق ﷺ بنصرته لدين الله ودفاعه عن حبيب الله ﷺ ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ ، أنّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : « إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا به، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ ...»[١].

وقَالَ ﷺ : «مَا أَحَدٌ عَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ (أَوِ الْإِيمَانَ) أَوِ النُّبُوَّةَ؛ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَبْوَةٌ؛ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَلَعْثَمْ»[٢].

---

١ - البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢) واللفظ له .

٢ - وَالْكَبْوَةُ: أَنْ يَقِفَ سَاعَةً حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ. «لَمْ يَتَلَعْثَمْ»: أَيْ لَمْ يَقِفْ ، والحديث من زيادات رزين كما في جامع الأصول (٥٨٥/٨) .

إن القرارات الصعبة لايتخذها إلا أولو العزم من الرجال، وقد كان الصديق من الشّجعان من ذوي الرأي المستقيم، الذين يعرفون عواقب الأمور، ولك أخي القارئ أن تَتَخّيّل رجلا يرمي بنفسه في أتُونِ معركة يعتبر فيها وحيدا أمام مجتمع كامل يخالفه في معتقده ، ألا يدل ذلك على الشجاعة الحقّة، نعم إنّها رباطة الجأش وشجاعة الشجعان، واسمع إلى شهادة عليٍّ في أخيه أبي بكر رضي الله عنهما وهما من السابقين الأولين والعشرة المبشرين بالجنة.

فعن علي ﷺ قال: من أشجع الناس ؟.

فقالوا: أنت.

فقال: أما إنّي ما بارزني أحد إلاّ انتصفت منه، ولكنّه أبو بكر؛ لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش هذا يَجَؤُه[1] وهذا يتلقّاه، ويقولون له: أنت تجعل الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منه أحد إلاّ أبو بكر يضرب هذا، ويدفع هذا، ويقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله « ، ثم بكى علي ﷺ .

ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم.

فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير منه، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا يعلن إيمانه[2].

---

١ - يجؤه : يدّق عنقه .

٢ - أخرجه البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال : ثم ذكر خطبته وأورها الحافظ في الفتح (٧/ ١٦٩) .

بعض الفوائد من قصته :

١- مسارعته ﷺ للإيمان بدعوة النبي ﷺ دون تردد .

٢- رجاحة عقله وشجاعته في الدفاع عن الحق من أول يوم .

٣- بذله ماله ونفسه وأهله في سبيل الله .

٤- فضله عن سائر الصحابة .

٥- فقهه في دين الله ومعرفته بمقاصد الوحي ، ويدل على ذلك بكاؤه حينما أخبر النبي ﷺ بالعبد الذي خير بين زهرةالدنيا والآخرة .

٦- تصريح النبي ﷺ بالمنّة لأبي بكر دون سواه من الخلق .

٧- إنصاف علي ﷺ وشهادته بشجاعة أبي بكر .

٣- أبوذر الغفاري ﷺ :

إنّ أبا ذر ﷺ ما إن سمع بمبعث النبي ﷺ حتى أسرع يبحث عن الحقيقة ، فتعالوا معي نسمع القصة منه كاملة بمشهدها الدرامي المؤثر لنعرف كيف وصل إلينا الإسلام بثمن ليس بالبخس الرخيص.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لِأَخِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لاَ أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي المَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلاَ أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى المَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ،

قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ البَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ، قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ" البخاري [1].

فمارضي أن يكتم إسلامه ﷺ بل أعلنها صراحة، تزلزلت منها أسماع الطغاة فأرعدت قلوبهم ، ورأوا أن الأمر أصبح يتمدّد ليصل نوره إلى خارج مكة .

ومن بعض فوائده :

١- سرعة استجابته لدين الحق « فأسلمت مكاني». ونحن فينا من هو مسلم بالوراثة فإن سمع أمرا أو نهيا جعله خلف أذنه ، ولم يعمل به .

---

١ - البخاري (٣٥٢٢) باب قصة زمزم . من حديث أبي جمرة، قال: قال لنا ابن عباس: ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟ قال: قلنا بلى،ثم قص عليهم قصته .

٢- هجرة أبي ذر - جندب بن جنادة - في طلب الحق .

٣- بركة ماء زمزم .

٤- صبره مدة طويلة في مكة لايعرف أحدا يبحث عن الحق ، واليوم لانستطيع جلوس ساعة في حلقة من حلق العلم .

٥- رأفة النبي ﷺ وشفقته على أصحابه .

٦- استهانة من أسلم بالمشركين ليقينه بأنّ الحقّ سينتصر ولابدّ .

٤- ابن مسعود ﷺ :

الغلام المعلَّم، والسيّد المقدم ، والإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكي، المهاجري، البدري، حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النَّفَل[١]، ومناقبه غزيرة، روى علما كثيرا[٢].

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود ﷺ : "لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا"[٣].

وعنه ﷺ قال: كنت في غنم لآل أبي معيط أرعاها، فجاءني النبي ﷺ ومعه أبوبكر بن أبي قحافة، فقال النبي ﷺ : «يا غلام، هل عندك لبن تسقينا ؟ » ، فقلت: نعم، ولكنّي مؤتمن، قال: « فهل عندك شاة شصوم لم يَنْزُ عليها الفحل؟ » ، قلت: نعم، فأتيته بشاة شصوم - قال: سلاَّم: لم يَنْزُ عليها الفحل وهي التّي ليس لها ضرع - فمسح النبي ﷺ مكان الضّرع وما بها ضرع، فإذا ضرع حافل مملوء لبنا، وأتيته بصخرة

---

١ - النفل : الغنائم .

٢ - سير أعلام النبلاء للذهبي (١/٤٦٤).

٣ - نفس المرجع السابق .

منقعرة، فاحتلب، فسقى أبا بكر، وسقاني، ثم شرب، ثم قال للضرع: «اقلص» ، فرجع كما كان، قال: فأنا رأيت هذا بعيني من رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله، علّمني، فمسح برأسي، وقال: " بارك الله فيك، فإنك غلام معلم، فأسلمت " [١].

من بعض فوائد القصة :

١- بركة النبي ﷺ .

٢- سرعة إسلام ابن مسعود رضي الله عنه وتأثره بالنبي ﷺ .

٣- أمانة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الجاهلية والإسلام .

٤- شهادة النبي ﷺ لابن مسعود بالعلم .

١ - مسند ابي يعلى الموصلي (٥٠٩٦) قال : حسين سليم أسد : إسناده حسن.

نماذج خالدة في صبرهم على الأذى في سبيل الله

لقد كانت ضريبة اعتناق الإسلام في مجتمع جاهلي عالية التكاليف ، لكن المستقبل بعد الثبات هو جنة عرضها الأرض والسموات بإذن الله تعالى ، فلايحسبن من يريد أن يطبق الإسلام على وجهه الصحيح أن يسلَم من أنياب ومخالب الجاهلية الحديثة ، فإن ظن أن ضريبة التمسك بالحق وتطبيقه دون أذى فذلك ضربٌ من الخيال، أو مسٌّ من الخَبَالِ ، فقد روى مسلم: عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلّي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال: أبو جهل: أيّكم يقوم إلى سَلَى جَزُور فيضعه على كتِفَيْ محمّد إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم، فأخذه فوضعه بين كتفيه، فضحكوا، وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم انظر لو كانت لي مَنَعَةٌ طرحته ، والنّبيّ ﷺ ما يرفع رأسه، فجاءت فاطمة، وهي جويرية فطرحته عنه وسبتهم، فلما قضى صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: " اللَّهمَّ عليك بقريش" ثلاثا، فلمّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: "اللهم عليك بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة .

ولقد أصابهم من الأذى والشدة والعذاب مااستدعى بعض الصحابة ﷺ أن يشكوا ذلك للنبي الرؤوف ﷺ .

روى البخاري عن خباب بن الأرتّ ﷺ ، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسّد بردة له في ظلّ الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرّجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه

فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[١].

١- خَبَّابُ بنُ الأَرَتّ رضي الله عنه :

خباب بن الأَرَتّ بن جَنْدلة بن سعد التّميمي [٢]، صحابي جليل من السادات السابقين إلى الإسلام ، أسلم سادس ستة من بنى مظعون، قبل دخول رسول اللَّه ﷺ دار الأرقم[٣]، ولقد أوذي في الله أشدّ الأذى ، وعذّب في ذات الله فما هَانَ ولااستكان ، وظلّ بفضل الله ثابتا على دين الله تعالى رغم زعازع الفتن والمحن ، ولقد كانوا من شدة تعذيبهم إياه جعلوا يلصقون ظهره بالأرض على الرّضف[٤]، حتى ذهب ماء متنه[٥].

قال مجاهد عن الشعبي، دخل خباب بن الأرت على عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنهما ، فأجلسه على مَتْكَأَةٍ[٦]، وقال: ما على الأرض أحد أحقّ بهذا المجلس منك، إلاّ رجل واحد، فقال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال، قال: ما هو بحقّ منّى، إنّ بلالا كان له من المشركين من يمنعه اللَّه به، ولم يكن لي أحد، لقد رأيتُني يوما وقد أوقدوا لي

---

١ - البخاري (٣٦١٢). (متوسد بردة) جعلها وسادة له. (تستنصر) تطلب النصرة من الله تعالى. (ليتمن) من الإتمام والكمال. (هذا الأمر) وهو الإسلام. (تستعجلون) النتائج والثمرات.

٢ - انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢/٣٢٣) و(تاريخ الصحابة) : ٨٨ ترجمة (٣٦٣) ، (الثقات) : ٣/ ١٠٦، (الإصابة) : ١/ ٤١٦.

٣ - دار التربية الأولى للجماعة المسلمة وكانت على ظهر جبل الصفا متخفيا بها ﷺ هو وأصحابه ، ومن الأسرار العظيمة أن النبي ﷺ جعل من شعائر الحج على ظهرها أن يعلن المسلم : شهادة العزة لله تعالى الذي أعز محمدا ﷺ وصحبه بعد أن كانوا يتخفون فيها.

٤ - الحجارة المحماة الواحدة رضفة.

٥ - المتن : الظهر .

٦ - متكأة : مايتكأ عليه كالوسادة ونحو ذلك .

نارا، ثمّ سلقوني فيها، ثمّ وضع رجل رجله على صدري، فما اتّقيتُ الأرض إلاّ بظهرى، ثمّ كشف خباب عن ظهره، فإذا هو قد برص[١].

وقال هشام بن الكلبي، عن أبى صالح: كان خباب قينا [٢] بمكّة، فكان رسول اللَّه ﷺ يَأْلَفُه ويأتيه، فأُخْبِرَتْ بذلك مولاته، فكانت تأخذ الحديدة وقد أحمتها، فتضعها على رأسه، فشكى ذلك إلى رسول اللَّه ﷺ فقال:اللَّهمّ انصر خبابا، فاستجاب الله لنبيه ﷺ فأصيبت بمرض واشتكت[٣] مولاته- وهي أم أنمار- فكانت تعوى مع الكلاب، فقيل لها: اكْتَوِى، فكان خباب يأخذ الحديدة وقد أحماها، فيكوي بها رأسها.

وعن مسروق، عن خبّاب، قال: كنت قَيْنًا بمكّة، فعملت للعاص بن وائل سيفا، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتّى تكفر بمحمّد.

فقلت: لا أكفر بمحمد -ﷺ- حتى تموت، ثم تبعث.

فقال: إذا بعثت كان لي مال، فسوف أقضيك.

فقلت ذلك لرسول الله -ﷺ- فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] [٤].

فلما رأوه ثابتا على الدين جاءه الابتلاء من رب العالمين ليزداد رقيا في سلم العبودية لله ، وليتجرد لله الواحد الأحد في الإقبال عليه رجاء جنة عرضها السموات والأرض ، فعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَأَلَ عُمَرُ خَبَّابًا عَمَّا لَقِيَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ خَبَّابٌ: « يَا

---

١ -أخرجه بنحوه ابن سعد ٣ / ١٦٥، وابن ماجة (١٥٣) في المقدمة، وإسناده صحيح كما قال البوصيري في (الزوائد : ١٢).

٢ - القين : الحداد.

٣ -فاشتكت : أي مرضت وصارت تشتكي من رأسها .

٤ - رواه الترمذي (٣١٦٢)، فقال «هذا حديث حسن صحيح» .

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْظُرْ إِلَى ظَهْرِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، قَالَ: «أَوْقَدُوا إِلَيَّ نَارًا، فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكُ[١] ظَهْرِي».

بعض الفوائد من قصة خباب :

١- سبقه للإسلام لما عرف رحمته وذاق حلاوته .

٢- تربية النبي ﷺ لأصحابه على الثبات والحب والعطاء لهذا الدين .

٣- ملاطفته ﷺ لأصحابه لاسيما المستضعفين الذين لاعشيرة لهم .

٤- استجابة الله لدعاء نبيه ﷺ وانتصافه من جلادي خباب بيده وفي ذلك عبرة عظيمة حينما يتحول الضعيف إلى قوي بنصر الله تعالى .

٥- تقديم عمر رضي الله عنه للسابقين للإسلام على غيرهم مهما كانوا .

٦- جواز الشكوى وإظهار الضرر لمن يشفق على حال المشتكي .

٧- الرفعة في الدنيا والآخرة بالإيمان واتباع النبي ﷺ .

٢- صبرا آل ياسر (أسرة في الجنة) :

خرج ياسر والد عمّار[٢]، من بلده في اليمن يطلب أخا له، ويبحث عنه .

وفي مكة طاب له المقام، فاستوطنها محالفا أبا حذيفة بن المغيرة، وزوّجه أبو حذيفة إحدى إمائه سميّة بنت خياط [٣]، ومن هذا الزواج المبارك رزق الله الأبوين عمارا.

---

١ - الودك : شحم الظهر .

٢ - أبو اليقظان: حليف بنى مخزوم، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، إنه عمار بن ياسر ابن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف ابن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس. «الإصابة» (٧١٣/٧) .

٣ - سميَّة: وَهِي بنت خياط، كَانَت مولاة لأبى حُذَيْفَة بن الْمُغيرَة، واسْمه مهشم، وَهُوَ عَم أَبى جهل، وَقد غلط ابْن قُتَيْبَة فِيهَا، فَزعم أَن الْأَزْرَق مولى الْحَارِث بن كلدة خلف عَلَيْهَا بعد يَاسر، فَولدت لَهُ سَلمَة بن الْأَزْرَق، وَالصَّحِيح أَن أم سَلمَة بن الْأَزْرَق سميَّة أُخْرَى، وَهِي أم زِيَاد بن أَبى سُفْيَان لَا أم عمار. (الروض الأنف للسهيلي (١١٦/٣).

وكان إسلامهم مبكرا.. شأن الأبرار الذين هداهم الله..

وشأن الأبرار المبكّرين أيضا، أخذوا نصيبهم الأوفى من عذاب قريش وأهوالها..!!

ولقد كانت قريش تتربّص بالمؤمنين الدوائر، فإن كانوا ممّن لهم في قومهم شرف ومنعة، تولّوهم بالوعيد والتّهديد، ويلقى أبو جهل المؤمن منهم فيقول له: « تركت دين آبائك وهم خير منك.. لنسفّهنّ حلمك، ولنضعنّ شرفك، ولنكسدنّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك» ثم يشنون عليه حرب عصبية حامية.

وإن كان المؤمن من ضعفاء مكة وفقرائها، أو عبيدها، أصلتهم سعيرا[١].

ولقد كان آل ياسر من هذا الفريق..

ووكل أمر تعذيبهم الى بني مخزوم، يخرجون بهم جميعا.. ياسر، سمية وعمار كل يوم إلى رمضاء مكة الملتهبة، ويصبّون عليهم جحيم العذاب ألوانا وفنونا!!

ولقد كان نصيب سمية من ذلك العذاب فادحا رهيبا[٢].

إنها من أول السابقات للإسلام حيث أسلمت بعد السيدة خديجة رضي الله عنها و أرضاها، وكانت أول من قتل في سبيل الله رضي الله عنها .

ولم يشهد التاريخ امرأة عذبت كما عذبت سمية من طرف أبي جهل " كان يضربها ضربا شديدا و يؤذيها أشد الأذى ..وكان يريد منها كلمة واحدة وهي أن تكفر بدين محمّد عليه الصلاة و السلام .. ولكنّ المرأة لم تنطق إلا بالشهادتين مما أدى إلى جنون أبي جهل اللعين لأنها استطاعت أن تقهره بصبرها و إيمانها و قوة احتمالها ..

---

١ - سيرة ابم هشام (١/٢٧٩) .

٢ - رجال حول الرسول (١/١٤٧).

وكذلك تفعل كلّ امرأة صالحة برّة نقية إذا حاولت الجاهلية أن تردها على عقبيها إلى مستنقع الكفر أو التَّعري ، فإنها تقهره بثباتها وعفتها ومضائها .

فما كان من الطاغية أبي جهل إلا أن يلجأ للقوة الغاشمة فحمل حربته و طعنها بها .. ضربها بالحربة إلى مكان عفتها وهي مقيدة مكبلة .. فسقطت رضي الله عنها وأرضاها شهيدة.. بل كانت أول من استشهدت في الإسلام ... ماتت بين زوجها و ابنها المكبّلين " ..

وبعد أيام قليلة يستشهد زوجها ياسر بعد صبره الكبير على العذاب و قتل زوجته أمام عينيه ...ويبقى بعدهما ابنهما عمار بن ياسر .. وكان سنه بضعا و عشرين سنة ..

إن رسول الله ﷺ كان يخرج كل يوم الى أسرة ياسر، محيّيا صمودها، وبطولتها.. وكان قلبه الكبير يذوب رحمة وحنانا لمشهدهم وهم يتلقون من العذاب ما لا طاقة لهم به.

وذات يوم وهو يعودهم ناداه عمّار: " يا رسول الله.. لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ".. فناداه الرسول: صبرا أبا اليقظان ، "صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة"[1]..

ولقد وصف أصحاب عمّار العذاب الذي نزل به في أحاديث كثيرة.

فيقول عمرو بن الحكم: « كان عمّار يعذب حتى لا يدري ما يقول ».

ويقول عمرو بن ميمون: « أحرق المشركون عمّار بن ياسر بالنار، فكان رسول الله ﷺ يمر به، ويُمِرُّ يده على رأسه ويقول: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الحج: ٦٩] على عمّار، كما كنت بردا وسلاما على ابراهيم"..[2]

---

١ - المُسْتَدْرك (٣ / ٣٨٣) وانظر «الإصابة» (٧١٣/٧) .

٢ - الخصائص الكبرى للسيوطي (١٣٤/٢).

على أن ذلك الهول كله لم يكن ليُفْدَح روح عمار، وإن فدح ظهره ودغدغ قواه..

ولم يشعر عمار بالهلاك حقا، إلا في ذلك اليوم الذي استنجد فيه جلادوه بكل عبقريتهم في الجريمة والبغي.. فمن الكيّ بالنار، إلى صلبه على الرّمضاء المستعرة تحت الحجارة الملتهبة.. إلى غطّه في الماء حتى تختنق أنفاسه، وتتسلخ قروحه وجروحه..

في ذلك اليوم فقد وعيه تحت وطأة هذا الهول فقالوا له: أذكر آلهتنا بخير، وأخذوا يقولون له، وهو يردّد وراءهم القول في غير شعور.

في ذلك اليوم، وبعد أن أفاق قليلا من غيبوبة تعذيبه، تذكّر ما قاله فطار صوابه، وتجسمت هذه الهفوة أمام نفسه حتى رآها خطيئة لا مغفرة لها ولا كفارة.. وفي لحظات معدودات، أوقع به الشّعور بالإثم من العذاب ما أضحى عذاب المشركين تجاهه بلسما ونعيما..!!

ولو ترك عمّار لمشاعره تلك بضع ساعات لقضت عليه لا محالة..

لقد كان يحتمل الهول المنصّب على جسده، لأنّ روحه هناك شامخة.. أما الآن وهو يظن أنّ الهزيمة أدركت روحه فقد أشرفت به همومه وجزعه على الموت والهلاك.. لكن الله العليّ القدير أراد للمشهد المثير أن يبلغ جلال ختامه..وبسط الوحي يمينه المباركة مصافحا بها عمّارا، وهاتفا به: انهض أيها البطل.. لا تثريب عليك ولا حرج..

ولقي رسول الله ﷺ صاحبه فألفاه يبكي، فجعل يمسح دموعه بيده، ويقول له:

" أخذك الكفار، فغطوك في الماء، فقلت كذا.. وكذا..؟ "

أجاب عمّار وهو ينتحب: نعم يا رسول الله ... فقال له رسول الله ﷺ وهو يبتسم: " إن عادوا، فقل لهم مثل قولك هذا"..!!

ثم تلا عليه الآية الكريمة: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦].

واستردّ عمّار سكينة نفسه، ولم يعد يجد للعذاب المُنْقَضِّ على جسده ألما، ولم يعد يلقي له بالا..

لقد ربح روحه، وربح إيمانه.. ولقد ضمن القرآن له هذه الصفقة المباركة، فليكن بعدئذ ما يكون ..!!

وصمد عمّار حتى حل الإعياء بجلاديه، وارتدّوا أمام إصراره صاغرين..!![1].

و يظل سيدنا عمار مع رسول الله ﷺ إلى أن هاجر الى المدينة. وليكن حسبنا الآن أن نذكر في غير مبالغة أن سمية الشهيدة وقفت يوم ذاك موقفا يمنح هذه الأسرة المباركة وسام الشهادة في سبيل الله لتكون أول أسرة تضع رحالها في جنات النعيم .

بعض الفوائد من قصة الأسرة المباركة :

١- أول اسرة تؤمن بالنبي ﷺ وتتبعه حتى الشهادة في سبيل الله .

٢- ثبات المرأة المؤمنة أمام جلاديها مما يجعلهم أذلة أمام عينيها .

٣- فضل أسرة آل ياسر وأنهم من أهل الجنة .

٤- فضل عمار رضي الله عنه ومكانته عند النبي ﷺ .

٥- جواز النطق بالكفر عند الإكراه دون اعتقاده .

٦- مواساة القيادة لأتباعها في السراء والضراء .

---

١ - رجال حول الرسول (١/١٥١) .

٧- دور الشباب والشيوخ والنساء في حمل الرّسالة وأن طريقها ليست مفروشة بالورود ، ولكن نهاية الطريق النعيم المقيم .

٣ - ال زِنّيرة[١] :

لم تكن المؤمنات القانتات بمنأى عن الأذى والاضطهاد ، لاسيما أولئك اللاّئي لم يجدن عشيرة تدفع عنهنّ العذاب ، فقد كانت زنيرة رضي الله عنها من السابقات في الإسلام، ممن ذقن العذب وتحملن العذاب ، إذ عذبها المشركون على إسلامها فاحتملت عذابهم بصبر ورباطة جأش ولم ترجع عن دينها ، ومن شدة العذاب والنكال بها ذهب بصرها، فأراد المشركون أن يأخذوا من عقيدتها ، ويَفُتُّوا في إيمانها رغبة في النكوص عن دينها فقالوا : ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى، فردت عليهم رد الواثقة بالله قائلة : كلاّ، والله ما هو كذلك (ماللات والعزى إلاّ أحجار عبدتموها سفاهة وجهلا ، وماهي إلاّ أحجار لاتضر ولاتنفع ، وإنما هو الله المعطي القابض ، الضار الشافي) فأكرمها الله كرامة صالحة ، فردّ الله عليها بصرها ".

ولما رأى الصّديق أنّ هؤلاء الضّعفاء لاحامي لهم من العشائر قرر شراءها ومن كانوا معها من المستضعفين ابتغاء وجه الله تعالى ، وأعتقهم في سبيله سبحانه .

فقال له والده : أي بني لو أنك إذا أعتقت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون معك، فقال له: يا أبه إنما أريد ما أريد لله عز وجل ،فيقال إن هذه الآيات نزلن في أبي بكر ﷺ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل:٥-٧] إلى آخر السورة.

---

١ - والزنيرة: بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة. كسكينة: كذا في القاموس. وزنيرة روميّة، (أعلام النساء) : ٢/ ٣٩. زنيرة مولاة أبي بكر الصديق، كانت من السابقات إلى الإسلام، وممن يعذب في الله، وذكر الخبر في ترجمتها ابن عبد البر في الاستيعاب (٤: ٣٢٢) على هامش الإصابة، وابن حجر في الإصابة (٤/٣١١).

لقد كانت الزِّنِّيرة" الرّومية أمَةَ عمر بن الخطاب أسلمت قبله، فكان يضربها "فذهب بصرها" عميت من شدّة العذاب، "وكانت ممن يعذب في الله" وروى الواقدي أن عمر وأبا جهل كانا يعذبانها، "فتأبى إلا الإسلام" وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون إلى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى محمد خيرًا وحقًا ما سبقونا إليه، أفتسبقنا زنيرة إلى رشد.

وأخرج ابن المنذر عن عون أبي شداد، قال: كان لعمر أمة أسلمت قبله، يقال لها زنيرة فكان يضربها على إسلامها حتى يَفْتُرَ، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيرًا ما سبقتنا إليه زنيرة، فأنزل الله في شأنها، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] الآية، ولما عذبت الزنيرة على الاسلام في الله، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى، قالت: كلا والله، فردّ الله عليها بصرها.

نماذج من هجرتهم إلى الله ورسوله وتركهم كل شيء في سبيل الله

لقد لقي المسلمون من الكيد والتنكيل ماجعلهم يبحثون عن مكان آمن يقيمون فيه شعائر دينهم ، ويحيوا حياة كريمة في ظلال عقيدتهم التي أوذوا من أجلها ، وفي ظل تلك الظروف التي كانوا يعانون منها ، نزلت سورة الكهف، لترسم لهم طريقا جديدا في المحافظة على إيمانهم بعيدا عن البطش والإكراه ، تلك السورة التي أخبرت بقصة الفتية الذين فروا بدينهم من ظلم مَلِكِهم، وأووا إلى كهف يحتمون به مما يراد بهم، فكان في هذه القصة تسلية للمؤمنين، وإرشاداً لهم إلى الطريق الذي ينبغي عليهم أن يسلكوه للخروج مما هم فيه.

لقد عرضت قصة أصحاب الكهف نموذجاً للإيمان في النفوس المخلصة، كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وكيف أن الله تعالى يرعى هذه النفوس المؤمنة ويقيها الفتنة، ويشملها برحمته ورعايته ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ [الكهف:١٦].

لقد وضَّحت هذه القصة للمؤمنين طريق الحق والباطل، وبيَّنت أنه لا سبيل للالتقاء بينهما بحال من الأحوال، وإنما هي المفاصلة والفرار بالدين والعقيدة، وانطلاقاً من هذه الرؤية القرآنية أمر النبي ﷺ المسلمين المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة، وقد وصفت أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ هذا الحدث فقالت: « لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، والفتنة في دينهم، وأنّ رسول الله ﷺ لايستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمّه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم

رسول الله ﷺ : إنّ بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً - أي جماعات - حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمِنَّا على ديننا ولم نخش منه ظلماً »[١].

وكان الذي دعى الصحابة لتلك الهجرة عدة أسباب، منها شدة العذاب الذي لاقاه الصحابة من المشركين، حيث استخدم المشركون شتى أنواع العذاب لكي يفتنوا الصحابة عن دينهم، وكان نشر الدعوة خارج مكة المكرمة، وتكوين قاعدة تحمي حاملي تلك العقيدة المباركة سبباً رئيساً آخَر لتلك الهجرة.

وهكذا هاجر أوّل فوج من الصّحابة إلى الحبشة في السّنة الخامسة للبعثة، وكان هذا الفوج مكوناً من اثني عشر رجلاً و أربع نسوة، كان في مقدمتهم عثمان بن عفان ﷺ ، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان رحيلهم تسللاً تحت جنح الظلام حتى لا تشعر بهم قريش، فخرجوا إلى البحر عن طريق جدة، فوجدوا سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، ولما علمت قريش بخبرهم خرجت في إثرهم، وما إن وصلت إلى الشاطئ حتى وجدوا أن المهاجرين قد غادروه في طريقهم إلى الحبشة، حيث وجدوا الأمن والأمان، ولقوا الحفاوة والإكرام من ملكها النجاشي الذي كان لا يظلم عنده أحد، كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

وهكذا هيأ الله لعباده المؤمنين المستضعفين المأوى والحماية من أذى قريش وأمَّنهم على دينهم وأنفسهم ، وكان في هذه الهجرة خير للمسلمين، إذ استطاعوا -فضلاً عن حفظ دينهم وأنفسهم - أن ينشروا دعوتهم، ويكسبوا أرضاً جديدة تكون منطلقاً لتلك الدعوة، ومن كان مع الله كان الله معه..

---

١ - رواه البيهقي بسند حسن.

ولما رجعوا من هجرتهم رجعوا إلى المدينة النبوية - لأنّ النّبيّ ﷺ سبقهم إليها وأسس دولة الإسلام- ، دخل ذات يوم عمر بن الخطاب ﷺ في بيته فوجد أسماء بنت عميس - رضي اللّه عنها - وقد قدمت مع من قدم من الحبشة في السفينة ولم يعرفها- فسأل زوجته، فقالت: هذه أسماء بنت عميس ، فقال : "الحبشية هذه ؟ آلبحرية هذه؟ فقالت : نعم . فقال عمر ﷺ : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول اللّه ﷺ منكم، فغضبت رضي الله عنها، وحق لها أن تغضب ... وقالت: كلا واللّه، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ ، وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد عليه.

فلما أخبرت رسول اللّه ﷺ قال : " ليس بأحقّ بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أصحاب السفينة هجرتان ، قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى، وأصحاب السفينة يأتونني أرسالا يسألونني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح، ولا أعظم في أنفسهم، مما قال لهم النبي ﷺ " [1].

---

١ - القصة من عدة أحاديث في صحيحي البخاري(٤٢٣١) ، (١٥٤٦/٤) - وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم رقم ٢٥٠٢، ٢٥٠٣» ، قال الشيخ مصطفى البغا في تعليقه على البخاري : (من هذه) فيه دلالة على أنها كانت مستورة الوجه إذ لو كانت مكشوفة لعرفها بمجرد رؤيتها ولما احتاج أن يستفسر عنها. وهذا دليل على أن حجاب المرأة المسلمة يشمل الوجه وان هذا كان شائعا مألوفا على عهد رسول الله ﷺ وهو الذي فهمه زوجات أصحابه رضوان الله عليهم وعليهن من آيات الله عز وجل وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم. (آلحبشية) نسبها إلى الحبشة لأنها هاجرت إليها وسكنت فيها. (آلبحرية) أي التي ركبت البحر عند هجرتها. (البعداء) عن الدين جمع بعيد. (البغضاء) للدين جمع بغيض. (في الله) في سبيله وطلب رضاه. (وايم الله) أيمن الله وهو من صيغ القسم. (أزيغ) أميل عن الحق وأبتعد عنه.

ومما يستفاد من أحداث الهجرة إلى الحبشة :

١- الصبر على الشدّة والبلاء في سبيل الله فلقد لاقى النبي ﷺ وأصحابه في مكة المكرمة، من الشدّة والأذى ما يصعب على غيرهم احتمالُه.

٢- ثبات المؤمنين على عقيدتهم ودينهم الحنيف، دون الخضوع لضغوط الأعداء.

٣- شفقة النبي ﷺ على أصحابه ورحمته بهم، حيث أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة.

٤- فضل هجرة من هاجر إلى الحبشة على هجرة من هاجر إلى المدينة وحدها.

٥- جواز غضب من رأى أنه لم ينصف في حقه .

٦- ستر المرأة وجهها وذلك ظاهر من سؤال عمر رضي الله عنه لأنه لم يعرفها ولاتخفى عليه لو كانت كاشفة له .

٧- فرح الصحابة العائدين من الحبشة بتبشير النبي ﷺ لهم بأن لهم ثواب هجرتين .

نموذج آخر من التضحية بالمال في سبيل المحافظة على الدين :

صهيب الرومي رضي الله عنه [١] ، سابق الروم إلى الإسلام [٢] ، كان فاضلا ، وافر الحرمة ، وكان موصوفا بالكرم والسّماحة رضي الله عنه ابتلي بالعذاب الشديد مع من ابتلي من المستضعفين ، فلما جاءت الهجرة خرج مهاجرا إلى الله ورسوله وترك كل شيء لوجه الله تعالى يقول سعيد بن المسيب أحد تلامذته : أقبل صهيب مهاجرا إلى النبي ﷺ ، فاتبعه نفر من قريش ، ونزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته [٣] ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا ، وأيم الله لا تَصِلُون إلي حتى أرمي بكلّ سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، وإن شئتم دللتكم على مالي وقَيْنَتِي [٤] بمكة وخليتم سبيلي « ، قالوا: نعم ، ففعل فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع أبا يحيى [٥] ، قال: ونزلت ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

---

١ - صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر ، أبو يحيى - ويقال أبو غسان - النمري ، الرومي ، البدري ، المهاجري . ، وكان فاضلا ، وافر الحرمة ، له عدة أولاد .
ولما طعن عمر ، استتابه على الصلاة بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام .
وكان موصوفا بالكرم والسماحة -رضي الله عنه- (انظر ترجمته الطيبة في سير أعلام النبلاء (١٧/٢) .

٢ - قال رسول الله -ﷺ : (صهيب سابق الروم) أخرجه ابن سعد في " الطبقات " ٣ / ٢٢٦ وإسناده ضعيف لارساله . وقال الذهبي في السير : وجاء هذا بإسناد جيد من حديث أبي أمامة ، وجاء من حديث أنس ، وأم هانئ) قال المحقق : أما حديث أبي أمامة فأخرجه الطبراني ، وحسن إسناده الهيثمي ، وأما حديث أنس ، فرواه الطبراني أيضا ، وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان ، وهو ثقة وفيه خلاف ، وذكره ابن الأثير في " أسد الغابة " ٣ / ٣٧ وأما حديث أم هانئ فرواه الطبراني ، وفيه كما قال الهيثمي فائد العطار ، وهو متروك " مجمع الزوائد " ٩ / ٣٠٥ .
(٢) أخرجه ابن سعد من طريق منصور عن مجاهد ، وذكره ابن عساكر من طريق ابن أبي شيبة ، وهو في " أسد الغابة " ٣ / ٣٨٠ .)

٣ - انتثل: أي نثر سهامه من كنانته ، والكنانة جعبة توضع فيها السهام .

٤ - القينة : هي الأمة مغنية ، وقيل: القينة: المغنية خاصة .

٥ - الحاكم في المستدرك وقال : «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» (٥٧٠٠) و سكت عنه الذهبي في التلخيص ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٢٩٦) ، وابن شبة في تاريخ المدينة (٤٧٩/٢) .

في قصته من الفوائد:

سبق صهيب الروم إلى الإسلام حيث كان أول الداخلين .

صبره على أذى قريش وثباته على دينه حينما ذاق حلاوته .

تنازله عن ماله وأهله مقابل هجرته إلى الله ورسوله .

شهادة القرءان والنبي ﷺ له بربحه الصفقة الباقية وهي دار النعيم .

نزول القرءان مادحا حسن صنيعه ، وهكذا الرجال الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى .

نماذج من الجرأة على قول الحق والثبات عليه دون التواء أوتأويل

كان صحابة رسول الله أعلى مثال يحتذى للدعاة في كل زمان ومكان في الثبات على دين الله تعالى والصدع به ، لايبالون بمن آذاهم أو وقف في طريقهم مادامت قلوبهم مطمئنة للمنهج الذي ءامنوا به.

فهذا ابن مسعود ﷺ الجاهر بالحق لما أراد أن يسمع المشركين كلام رب العالمين رغم ضعف قوته ، وقصر قامته ، لكن إيمانه كان أطول من كل المتطاولين على الحق المبين فقد غدا على المشركين يوما ليسمعهم مايكرهون ، قال الزبير ﷺ : كان أوّل من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكّة عبد الله بن مسعود ﷺ قال: اجتمع يوما أصحاب

رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: «أنا» ، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: «دعوني فإنّ الله عزّ وجل سيمنعني» قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها فقام عند المقام، ثم قال: " بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١- ٢] قال: ثم استقبلها يقرأ فيها " قال: وتأمّلوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أمّ عبد؟ قال: ثم قالوا: إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثمّ انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك قال: «ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها» ، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون[1].

من فوائد القصة :

تجرؤ ابن مسعود ﷺ على قول الحق رغم ضعف بنيته .

الرجال لاتقاس بالأجسام الفارعة، ولكن بقوة الإيمان في قلوبها، وتشبثها ببيان الحق ونصرته .

ابن مسعود ﷺ أول من أسمع المشركين القرءان بعد رسول الله ﷺ .

جواز اقتحام المكاره التي يمكن أن تقع للشخص في تبليغه الدين .

ثقته وتوكله على الله تعالى .

استهانته بالملإ من قريش وكبرائهم رغم أنه كان راعي غنم وذلك لصدق إسلامه ، وقوة يقينه فيما يدعو إليه .

---

١ - فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢/ ٨٣٧) (١٥٣٥). وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٨٢).

جواز إسماع الكافر القرءان ولو ترجح إيذاؤه وسبه للداعي وما يدعو إليه.

عجز المشركين عن مواجهة الحجة بالحجة ولجوئهم إلى القوة والبطش وذلك شأن المتجبرين .

جعفر بن أبي طالب وأصحابه أمام امتحان صعب :

نعم لقد كان تلاميذ النبي ﷺ أشد صلابة في دينهم ، وألين عريكة مع إخوانهم، وأصدق حملا لرسالة ربهم ، هاجروا في سبيل الله ففقدوا أموالهم وديارهم ، فهان عليهم مافقدوا في سبيل ماوجدوا ، وماكانوا أبدا ليتنازلوا عن حرف مما عرفوه من كتاب الله وتوجيه رسول الله ﷺ ولو كلّفهم ذلك أعمارهم، يقول أبو موسى رضي الله عنه : " أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النّجاشي ، قال : فبلغ ذلك قومنا ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية ، فقدمنا (أي أرض الحبشة) ، وقدما (أي رسولا قريش) على النجاشي ، فأتوه بهديته فقبلها ، وسجدوا له ، ثم قال له عمرو بن العاص : إنّ قوما منّا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك .

فقال لهم النجاشي : في أرضي ؟

قالوا : نعم . فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلّم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم . قال : فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه ، وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره ، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين ، وقد قال له عمرو بن العاص وعمارة : إنهم لا يسجدون لك . قال : فلما انتهينا إليه زبرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك ، فقال جعفر : لا نسجد إلا لله .

فلما انتهينا إلى النجاشي ، قال : ما يمنعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجد إلا لله . قال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال : إنّ الله بعث فينا رسوله ، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم عليهما السلام : ﴿ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦]، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصّلاة ونؤتي الزّكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر .

قال : فأعجب النجاشي قوله ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلح الله الملك ، إنّهم يخالفونك في ابن مريم . فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبك في ابن مريم ؟ قال : يقول فيه قول الله : هو روح الله وكلمته ، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر .

قال : فتناول النجاشي عودا من الأرض ، فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه ! مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله والذي بشر به عيسى ابن مريم ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه ، امكثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة ، وقال: ردّوا على هذين هديتهما "[1] .

نعم لقد أثبت أصحاب النبي ﷺ أن المتمسك بالدين لايقبل المساومة فيه أو عليه، فلم يقولوا إنّ المصلحة تقتضي في الموقف الصعب الذي يدور بين قتلهم أو تسليمهم لأعدائهم لابد أن نعطي الدنية في ديننا، ونتنازل للملك بعض التنازلات عن عقيدتنا في عيسى ابن مريم عليهما السلام بحسب مايعتقدونه من تحريف في ذلك، بل صمموا أن

١ - أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٠٨) وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»،وأقره الذهبي ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٩٤٣) ، والطبراني في وقال في المجمع رجاله رجال الصحيح (٦/٣٠-٣١).

يقولوا الحق ، وانظر إلى الجاهلية التي حاربتهم في بلدهم كيف تَقفوا آثارهم وتتبعهم في عقر دار هاجروا إليها طلبا لسلامة دينهم ، فتبعث الجاهلية دبلوماسييها لملاحقة الفتية المؤمنين الذين تركوا الكفر وأهله ، وهكذا سمعنا القصة بجميع فصولها من أصحابها فنعمت قلوبنا بدفء الإيمان ، وامتلأت بنور الصبر ، وبرد اليقين ، وأيقنت أن النصر من عندالله لهذا الدين مهما كاد الكائدون .

وفي قصتهم من العبر والفوائد الكثير ، منها :

١. اعتقاد أهل الجاهلية أن من اعتنق الإسلام فقد كفر بدينهم، مما يتوجب عليهم منابذته ومقاتلته وذلك في كل زمان ومكان .

٢. جواز التقدم للإمارة لمن رأى أنه كفء لذلك ورضي أصحابه .

٣. شجاعة جعفر بن أبي طالب ﷺ وفصاحته في الحق.

٤. فساد حاشية الملوك مدعاة لفساد الحكم كله .

٥. السجود عبادة عظيمة لاتنبغي أن تكون إلا لله تعالى .

٦. بيان الحق دون لفٍّ أودوران ، وجرأةُ الصحابة في ذلك ولو كلفهم حياتهم

٧. رجاحة عقل النجاشي ودخوله في الإسلام لمطابقة صدق النبي ﷺ لما عنده من المعتقد الصحيح في عيسى عليه السلام .

٨.انتصار الحق في أرض غير الأرض التي ظهر فيها ، وفي ذلك عبرة لكل الدعاة أن من ضاقت عليه بلده فلينتقل لأرض أخرى لعله يكون فيها خيرا كثيرا.

ثبات أسطوري :خبيب بن عدي[١] (نموذج للثبات والحب):

عن أبي هريرة ﷺ قال: " بعث رسول الله ﷺ سرية عينا له وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمرو فانطلقوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق بين عسفان ومكة نزولا، فذُكِرُوا لِحَيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رجل رامٍ حتى رأوا آثارهم، حتى نزلوا منزلا يرونه، فوجدوا فيه نوى تمر يرونه من تمر المدينة فقالوا: هذا من تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما أحسّهم عاصم بن ثابت وأصحابه، لجأوا إلى فدفد، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق، إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم بن ثابت: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا رسولك قال: فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر وبقي خبيب ابن عدي، وزيد بن دثنة[٢]، ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق إن نزلوا إليهم فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث[٣] الذي كان معهما هذا أوّل الغدر، فأبى أن يصحبهم فجرّوه فأبى أن يتبعهم وقال: لي في هؤلاء أسوة، فضربوا عنقه، وانطلقوا بخبيب بن عدي، وزيد بن دثنة، حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا على قتله، استعار موسى من إحدى بنات الحارث[٤]

---

١ – ابن عدي الأنصاري الأوسي من بني حججبي بن كلفة بن عمرو بن عوف من **البدريين**

٢ – وابـن الدثنـة) ، وهو زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة وسكونها والنون: ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري البياضي، شهد بدرا وأحدا.

٣ – (ورجل آخر) ، هو عبد الله بن طارق بينه ابن إسحاق في روايته وهو عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف لبني ظفر من الأنصار، شهد بدرا وأحدا.

٤ – قـال إبـن إسحـاق: اسمهـا مارية، وقيل: ماويـة، وهي مولاة حجير بـن أبي إهاب، وكانـت زوج عقبة بن الحارث وسماها ابن بطال: جويرة، وفي (معجم البغوي) : مارية بنت حجير بن أبي إهاب.

ليستَحِدَّ بها[١]، فأعارته قالت: فغفلت عن صبيّ[٢] لي فدرج إليه حتى أتاه قالت: فأخذه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعا عرفه في، والموسى بيده قال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأن أفعل إن شاء الله قال: فكانت تقول: ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف[٣] عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلاّ رزق رزقه الله إياه، ثم خرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصل ركعتين، فصلى ركعتين ، ثم قال: لولا أن تروا أنّ ما بي جزع من الموت، لزدت، فكان أوّل من سن الركعتين عند القتل هو.. ثم قال: اللهم أحصهم عددا[٤]، ثُمَّ قَالَ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ؛ قَالَ: وَبَعَثَت قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِم[٥] لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبَرِ[٦] فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ[٧].

---

١ – (يستحد بها) ، من الاستحداد، وهو حلق شعر العانة، وهو استفعال من الحديد، استعمل على طريق الكناية والتورية، وذلك لئلا يظهر شعر عانته عند قتله .

٢ – واسم الابن: أبو الحسين ابن الحارث بن عامر بن نوفل، وهو جد عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسين المكي شيخ مالك رضي الله تعالى عنه.

٣ – بكسر القاف وهو العنقود .

٤ – (أللهم إحصهم عددا) دعاء عليهم بالهلاك استئصالا أي: لا تبق منهم أحدا، ويروى بعده: واقتلهم بددا، بفتح الباء الموحدة، والبدد: التفرق. قال السهيلي: ومن رواه بكسر الباء فهو جمع بدة، وهي: الفرقة والقطعة من الشيء المتبدد، ونصبه على الحال من المدعو، وبالفتح مصدر .

٥ – أي عاصم بن ثابت أبي الأقلح أحد الذين استشهدوا في الغارة وحمته الدبر **(النحل).**

٦ – الدبر جماعة النحل لا واحد لها. قوله: (فحمته) ، أي: حفظته،

٧ – مسند أحمد (٨٠٩٦) ومصنف عبدالرزاق (٩٧٣٠) وأصل القصة عند البخاري(٢/ ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨٥) وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٩ إلى ١٧٩، وزاد المعاد ٢/ ١٠٩،

وزاد الطبرى فروى عن أبى كريب قال : حدثنا جعفر بن عون عن إبراهيم ابن إسماعيل قال : وأخبرنى جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده ﷺ أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عينا الى قريش ، قال: فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون ، فرقيت فيها فحللت خبيباً ، فوقع إلى الأرض ، فانتبذت غير بعيد ، ثم التفت فلم أر لخبيب رمة ، فكأنما الأرض ابتلعته ، فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة [١].

قال ابن إسحاق : وكان زيد بن الدَّثنة أيضا قدّم للقتل فسأله أبو سفيان: أنشدك اللَّه يا زيد ، أتحبّ أنّ محمدا الآن عندنا في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ قال زيد: واللَّه مَا أُحِبُّ أَنَّ محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي! فعجب أبو سفيان وقال: ما رأيت من النَّاسِ أحدا يحبّه أصحابه ما يحب أصحاب محمّد محمدا »[٢] .

العبر والعظات من قصة خبيب وأصحابه :

١. حمل هم الدعوة إلى الله من قبل صحابة رسول الله ﷺ وتبصيرهم الناس بحقيقة الإسلام وأحكامه ، فليس أمر الدعوة موكولاً إلى الأنبياء و الرسل وحدهم أو إلى خلفائهم العلماء دون غيرهم .

٢. أهل الكفر أهل غدر ونقض للعهود .

٣. حرمة دخول المسلم في جوار الكافر المحارب إذا خشي منه الغدر والخيانة، وجواز الامتناع من الدخول في عهده ..

٤. ليس من همّ المسلم سفك الدماء ولو شاء لفعل ذلك خبيب بالصبي .

٥. شهادة الأعداء على عظمة أخلاق الصحابة ﷺ ، مما يدل على عظمة مربيهم .

---

١ - سبل الهدى والرشاد للصالحي (٦/٤٥).

٢ - البيهقي في دلائل النبوة (٣/٩٨).

٦. كرامة الله لأوليائه حيث كانت المرأة المشركة ترى فاكهةَ العنب عند خبيب، وليس بمكة عنبة واحدة .

٧. خبيب هو أوّل شهيد صلب في الإسلام .

٨. هو أوّل من سنّ ركعتي القتل ، وعدم جزعه من القتل .

٩. ثبات الصّحابة وفداؤهم للنّبيّ ﷺ من أن يصيبه أذى ولو كان في أهله.

نماذج رائعة من الإيثار وهضم النفس

كيف لايكون أصحاب النبي ﷺ أهلا للإيثار وهم غرس يديه وخريجو مدرسته، فلقد كان ﷺ مثلا للتضحية بكل أنواعها ، والإيثار بكل صوره ، ولك هذا المثال الرائع من نبي الهدى ﷺ فعن سهل بن سعد ، قال: « جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة ؟ فقيل له: نعم، هي الشَّملة منسوج في حاشيتها. قالت: يا رسول الله، إنِّي نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النَّبيُّ ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنَّها إزاره، فقال رجل مِن القوم: يا رسول الله، اكسنيها، فقال: نعم. فجلس النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثمَّ رجع فطواها، ثمَّ أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إيَّاه، لقد علمت أنَّه لا يردُّ سائلًا. فقال الرَّجل: والله ما سألته إلَّا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه »[1] .

لقد كانت مدرسة الإيثار تضم الرجال الأفذاذ والنساء الكريمات ، وسأقتصر على ثلاثة نماذج رائعة لهذا الخلق العظيم من أصحاب الحبيب ﷺ .

---

١ - البخاري (٢٠٩٣).

الأنصار دار المَبَرَّة والإيثَار

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩]،

قال سيد قطب رحمه الله تعالى "إنها صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردّت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنّها وقعت بالفعل، لحسبها النّاس أحلاما طائرة ورؤى مجنّحة ومُثُلاً عليا قد صاغها خيال محلق..

« وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ » .. أي دار الهجرة.

مدينة الرسول ﷺ وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، كما تبوأوا فيها الإيمان، وكأنه منزل لهم ودار، وهو تعبير ذو ظلال ، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار.

«يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا» .. ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين، بهذا الحبّ الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة، لأنّ عدد الرّاغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين! « وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا » .. مما يناله المهاجرون من مقام مفضّل في بعض المواضع، ومن مال يختصّون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئا من هذا ، ولا يقول: حسدا ولا ضيقا ، إنّما يقول: «شيئا»، مما يلقي ظلال النّظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئا أصلا.

«وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ» ... والإيثار على النفس مع الحاجة قمّة عليا، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرا، وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديما وحديثا.

إنه وسام شرف رباني يخلد مآثر الأنصار ، ويرفع ذكرهم أبد الدهر ماتكور الليل على النهار ، فأي شرف لقوم بعده.

إن الأنصار استقبلوا إخوة لم تلدهم أمهاتهم ولادرجوا على فرش آبائهم، ومع ذلك آثروهم بكل ما أعطاهم الله من مال بل ومن أزواج ، وهل تجد في الدنيا أن يبلغ جيل في فترة قصيرة من الإيمان والتربية إلى هذا المستوى المثالي الرائع ، مابلغ أصحاب النبي ﷺ ، إن هذا لن يحدث دون أن تكون ثمّت نفحات ربانية تكتب الإيمان على قلوب تلك الفئة الصالحة المؤمنة" [١].

حينما أقبل المهاجرون إلى المدينة فقد كانوا لا يملكون من أمر الدُّنْيا شيئًا، قد تركوا أموالهم وما يملكون خلف ظهورهم، وأقبلوا على ما عند الله عزَّ وجلَّ يرجون رحمته ويخافون عذابه، فاستقبلهم الأنصار الذين تبوَّؤوا الدَّار، وأكرموهم أيَّما إكرام، ولم يبخلوا عليهم بشيء من حطام الدُّنْيا... في صورة يعجز عن وصفها اللِّسان، ويضعف عن تعبيرها البيان:

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: « لما قدم المهاجرون المدينة نزلوا على الأنصار في دورهم، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم نزلنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا

١ - في ظلال القرءان (٦/٣٥٢٠). مع تصرف يسير .

أبذل في كثير منهم، لقد أشركونا في المَهْنَأ وكَفَونا المؤنة، ولقد خشينا أن يكونوا ذهبوا بالأجر كلِّه. فقال رسول الله ﷺ : « كلَّا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم به عليهم »[١].

– وهذا عبد الرَّحمن بن عوف «لمَّا قدم المدينة آخى النَّبيُّ ﷺ بينه وبين سعد بن الرَّبيع الأنصاريِّ، وعند الأنصاريِّ امرأتان، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، وفي رواية قال : " انظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدّتها فتزوجها "، وفي رواية " أقاسمك مالي وأنزل لك عن إحدى امرأتي "، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلُّوني على السُّوق... »[٢].

فيه من الفـوائد:

فيه ما كانوا عليه من الإيثار حتى بالنفس والأهل .

وفيه جواز نظر الرجل إلى المرأة عند إرادة تزويجها .

وفيه جواز المواعدة بطلاق المرأة وسقوط الغيرة في مثل ذلك .

وفيه تنزه الرجل عما يبذل له من مثل ذلك .

وفيه ترجيح الاكتساب بالنفس في التجارة و الصناعة .

وفيه مباشرة الكبار التجارة بأنفسهم مع وجود من يكفيهم ذلك من وكيل وغيره.[٣]

وفيه أن التجارة بركة لاسيما من الحلال .

---

١ – إسناده صحيح كما في الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٥/٢٩١) (١٩٣٢) لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٢ – البخاري (٣٩٣٧) .

٣ – فتح الباري (٩/١١٧) .

تضحيةٌ بطعام العيال إيثارا للضيف

فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلَّا الماء. فقال رسول الله ﷺ: مَن يضمُّ- أو يضيف- هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلَّا قوت صبياني. فقال: هيِّئي طعامك، وأصبحي سراجك ، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيَّأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوَّمت صبيانها، ثمَّ قامت كأنَّها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنَّهما يأكلان، فباتا طاويين ، فلمَّا أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله اللَّيلة -أو عجب من فعالكما-[1]، فأنزل الله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

بنفسي أنتم ... إيثار بالحياة

لقد وصل حال الصحابة ﷺ أن يؤثروا إخوانهم بحياتهم.. وهذا غاية الجود، ومنتهى البذل والعطاء.

يجود بالنفس إن ضَنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

تعال بنا نقف على مآثر تلك النفوس الشامخة بعزة الإسلام ، لعلنا نتلمس طريق الإيثار عند من عرفوه لفظا ومعنى، يقول حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي -ومعي شيء من الماء- وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له:

---

١ - البخاري (٣٧٩٨).

أسقيك، فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات ، رضي الله عنهم جميعاً، وسقاهم ربهم شرابا طهورا ، ألا ماأعظم هذه المآثر كما قال أبو الصَّلْت الثَّقَفِيّ:

تِلْكَ المَكَارِمُ لا قَعْبَانِ من لَبَنٍ شِيبَا بماءٍ فعادَا بَعْدُ أَبْوَالا[1]

وقد روى ابن الأعرابي مثل ذلك أيضاً عن عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وكانوا قد أتوا بماء وهم صرعى، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه، فقد أتي عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمر ينظر إليه فقال: ابدؤوا بهذا ... فنظر سهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال: ابدؤوا بهذا... فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمرّ بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم...

قال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفرُّ منكم اليوم؟! ثمَّ نادى: مَن يبايع على الموت؟ فبايعه عمُّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدَّام فسطاط خالد حتى أُثْبِتُوا جميعًا جراحًا، وقُتِل منهم خلقٌ، منهم ضرار بن الأزور -رضي الله عنهم-... فلمَّا صرعوا من الجراح استسقوا ماء، فجيء إليهم بشربة ماء، فلمَّا قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه. فلما دُفِعَت إليه نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه. فتدافعوها كلُّهم -من واحد إلى واحد- حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين[2] .

---

١ - قعب: القَعْبُ: القدَحُ الغَليظُ، ويجمع على قِعاب ، والمعنى : أن من أراد أن يفتخر فليفتخر بمثل هذه المكارم لابمن سقى أناسا قدحا من لبن ثم صار بعد ذلك بولا .

٢ - التبصرة لابن الجوزي (٢/٢٤٣).

صورٌ من إيثار أمِّ المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها :

- لما طُعِن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ﷺ قال لابنه عبد الله: (اذهب إلى أُمِّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فقل: يقرأ عمر بن الخطَّاب عليك السَّلام، ثمَّ سلها أن أُدفَن مع صاحبيَّ. قالت: كنت أريده لنفسي، فلأوثرنَّه اليوم على نفسي. فلمَّا أقبل، قال له: ما لديك؟ قال: أَذِنَت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيء أهمَّ إليَّ من ذلك المضجع، فإذا قُبِضت فاحملوني، ثمَّ سلِّموا، ثمَّ قل: يستأذن عمر بن الخطَّاب، فإن أذنت لي فادفنوني، وإلَّا فردُّوني إلى مقابر المسلمين).

أخي وعياله أحوج:

- قال ابن عمر رضي الله عنه: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إنَّ أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منَّا. فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأوَّل، فنزلت: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩][1].

إيثار... حتى للحيوان:

- لقد غرس الصحابة تلك الشيم في أبنائهم ، وتركوها خالدة يتوارثونها فقد خرج عبد الله بن جعفر يوما إلى ضيعة له، فنزل على نخيل قوم، وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلبٌ ودنا من الغلام، فرمى إليه الغلام بقرصٍ فأكله، ثمَّ رمى إليه الثَّاني والثَّالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه، فقال: يا غلام، كم قوتك

---

١ - الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٦) (٣٧٩٩) وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ، قال الذهبي -(في إسناده) عبيد الله بن الوليد ضعَّفوه ، وانظر الدر المنثور (٨/ ١٠٧) .

كلَّ يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلِمَ آثرت به هذا الكلب؟! قال: ما هي بأرض كلاب، إنَّه جاء مِن مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أشبع وهو جائع. قال: فما أنت صانع اليوم؟! قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر: أُلام على السَّخاء! إنَّ هذا الغلام لأسخى منِّي. فاشترى الحائط والغلام وما فيه مِن الآلات، فأعتق الغلام ووهبه منه »[١].

نماذج من صدقهم للّه تعالى

الصدق مركب المخبتين المخلصين، يتمسكون بشراعه ، ويكتبون أنفاسهم الصادقة بيراعه ، ولقد ضرب أصحاب النبي ﷺ الصادق الأمين المثل الصادق في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، فكانوا قدوة بها تقتدى ومنارات هدى بها يهتدى ، فعن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ ، فآمن به واتبعه –فتمعّنوا ياأيها الإخوان! في هذا الحديث– ثم قال: (أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه أن يعلموه) فالذي أسلم حديثاً يلتقي بالمتقدم إسلاما ، يأخذ معه ويتربى على يديه ، هناك تعليم واهتمام بالأفراد، وفي إحدى غزوات النبي عليه الصلاة والسلام، غنم النبي ﷺ سَبْياً[٢]، فقسم وقسم له –لهذا الأعرابي– أعطى أصحابه ما قسم له – يعني: أمرهم أن يوصلوا نصيبه إليه– فجاءوا به إليه، فقال: ما هذا ؟ قالوا: قسمٌ قسمه لك النبي ﷺ عليه وسلم، فأخذه وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: ما هذا ؟ قال: قسمته لك.

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى بسهم هاهنا –وأشار إلى حلقه– فأموت وأدخل الجنة –لا غنائم، ولا أموال– فقال: إن تصدق الله؛ يصدقك،

---

١ – المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي (٢٠٦) .

٢ – نساء وأطفال من المشركين المحاربين .

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به إلى النبي ﷺ يحمل وقد أصابه سهمٌ حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو؟ قالوا: نعم.

قال: صدق الله فصدقه، ثم كفنه النبي ﷺ في جبته ثم قدّمه فصلّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهمّ إن هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقتل شهيداً أنا شهيدٌ على ذلك[١].

فالصحابة عرفوا الالتزام، وعرفوا التدين، ولكن عرفوا مع ذلك لبّ الأعمال وبذرتها الصدق مع الله ، وقل ماشئت : هذا متدين، أوهذا مطوع، أوهذا ملتزم، قل ما شئت، لكن المسألة في النّهاية شيء واحد، الصّدق مع الله فقط، لو يعمل أحدنا في حياته فقط لهذه القضية الصّدق مع الله لكفاه ، فهذا أعرابي صدق مع الله في موقف واحد فدخل الجنة.

الثلاثة الصادقون التائبون :

إنها قصة كلما قرأتَها أحسست بنسمات من الصدق لأولئك النفر الثلاثة تملأ وجدانك ، وتنقلك إلى عالم آخر عاش على وجه الأرض ولكن كان قمة في الصدق ، لاأسرد لكم القصة كلها فهي طويلة[٢] ، ولكن أقتطف من ثمارها بعض المحطات لعلها تنفعنا مع الله ، أما الثلاثة فهم : كعب بن مالك ،وهلال بن أمية ، ومُرَارَة بن الرَّبِيع ﷺ، فاسمع إلى بعض الصدق في كلامه.

---

١ - رواه النسائي وهو حديث صحيح (٢/٦٠) (١٩٥٣).

٢ - قصتهم في صحيح البخاري (٤٤١٨) باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ (التوبة: ١١٨).

عندما تخلف عن الغزوة لم يبحث عن المعاذير ولو شاء لفعل كما فعل المنافقون

قال كعب ﷺ : كان من خبري: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه، في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة... فلم يزل بي -(أي التسويف) وهو العدو الذي أهلكنا - حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك...

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادما، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبَسَّم تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي: «ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك» . فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ : «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» .

أما هذا فقد صدق !، فلينتظر خبر الوحي وتشريف ذي العزة والكبرياء ، فجاءت توبتهم ويالها من توبة تقبلها الله ، يقول كعب : فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإنّ من توبتي أن لا أُحَدِث إلاّ صدقا، ما بقيت.

فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله : ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

إنه أمر من الله عز وجل لكل مؤمن أن يكون في حزب الصادقين ، فلنكن كذلك جعلني الله وإياك منهم ، وأنصحك قبل تختم هذه الصفحات بقراءة قصة كعب كاملة .

الخاتمة

لقد تحمل الصحابة الكثير من الجوع والعري والعطش والأذى والتقتيل والتشريد في سبيل دينهم ونصرة نبيهم ﷺ ، ثمّ أعقب ذلك لما صبروا وصدقوا عزة ونصرا وتمكينا فبعد أن كانوا مستضعفين صاروا سادة العالمين ، وبعد أن كانوا لايجدون قطعة القماش ليستر أحدهم بها عورته فتح الله على أيديهم بلاد الديباج والحرير ، ولقد صدقوا الله فصدقهم الله ، ولو ظل الأدباء والكتاب يكتبون الليل والنهار لما استطاعوا أن يجمعوا تلك العوالم المتعددة التي تجلت فيهم ، فسبحان من جمع العالم في واحد ، ولو أنّ الأمّة رجعت إلى سيرهم وتاريخهم لتغيّر حالها وحسن مآلها وكانت قائدة الأمم ورائدة القيم ، فاللهم اصلح حال أمتنا وارفع شأنها وولي عليها خيارها ياذا الجلال والإكرام .

فهرس الموضوعات

١. فضل الصَّحابة الأخيار ١١
٢. نماذج من الصحابة في مسارعتهم للإسلام..... ١٤
٣. نماذج خالدة في صبرهم على الأذى في سبيل الله..... ٢٣
٤. نماذج من هجرتهم إلى الله ورسوله..... ٣٣
٥. وتركهم كل شيء في سبيل الله ٣٣
٦. نماذج من الجرأة على قول الحق والثبات عليه دون التواء أوتأويل : ٣٨
٧. نماذج رائعة من الإيثار وهضم النفس..... ٤٦
٨. الأنصار دار المَبَرَّة والإيثَار..... ٤٧
٩. تضحيةٌ بطعام العيال إيثارا للضيف ٥٠
١٠. بنفسي أنتم...إيثار بالحياة..... ٥٠
١١. نماذج من صدقهم لله تعالى ٥٣
١٢. الخاتمة ٥٧